ويقال فيه زكريا بالمد وبالقصر ويقال زكرى أيضا .

والمقصود ان الله تعالى أمر رسوله A أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولدا على الكبر وكانت امرأته عاقرا في حال شبيبتها وقد أسنت أيضا حتى لا ييئس أحد من فضل الله ورحمته ولا يقنط من فضله تعالى وتقدس قال تعالى ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا قال قتادة عند تفسيرها ان الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي وقال بعض السلف قام من الليل فنادى ربه مناداة اسرها عمن كان حاضرا عنده مخافته فقال يا رب يا رب يا رب فقال الله لبيك لبيك لبيك قال رب اني وهن العظم مني أي ضعف وخار من الكبر واشتعل الرأس شيبا استعارة من اشتعال النار في الحطب أي غلب على سواد الشعر شيبه كما قال ابن دريد في مقصورته ... أما ترى رأسي حاكى لونه ... طرة صبح تحت أذيال الدجا ... واشتعل المبيض في مسوده ... مثل اشتعال النار في جمر الغضا ... وآض عود اللهو يبسا ذاويا ... من بعد ما قد كان مجاج الثرى ... .

يذكر أن الضعف قد استحوذ عليه باطنا وظاهرا وهكذا قال زكريا عليه السلام اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا وقوله لم أكن بدعائك رب شقيا أي ما دعوتني فيما أسألك الا الإجابة وكان الباعث له على هذه المسئلة انه لما كفل مريم بنت عمران بن ماثان وكان كلما دخل عليها محرابها وجد عندها فاكهة في غير إوانها ولا في آوانها وهذه من كرامات الأولياء فعلم أن الرازق للشئ في غير أوانه قادر على أن يرزقه ولدا وان كان قد طعن في سنه هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء وقوله واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا قيل المراد بالموالي العصبة وكأنه خاف من تصرفهم بعده في بني اسرائيل بما لا يوافق شرع الله وطاعته فسأل وجود ولد من صلبه يكون برا تقيا مرضيا ولهذا قال فهب لي من لدنك أي من عندك بحولك وقوتك وليا يرثني أي في النبوة والحكم في بني إسرائيل ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يعني كما كان آباؤه واسلافه من ذرية يعقوب أنبياء فاجعله مثلهم في الكرامة التي أكرمتهم بها من النبوة والوحي وليس المراد ههنا وراثة المال كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة ووافقهم ابن جرير ههنا وحكاه عن أبي صالح من السلف لوجوه أحدها ما قدمنا عند قوله تعالى وورث سليمان داود أي في النبوة والملك كما ذكرنا في الحديث المتفق عليه بين العلماء المروى في الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من طرق عن جماعة من الصحابة ان رسول الله A قال لا نورث ما تركنا فهو صدقة فهذا نص على أن رسول الله A لا يورث ولهذا منع الصديق ان يصرف ما كان يختص به في حياته إلى أحد من

وراثه الذين لولا هذا